هيكل الله في المزامير

د. نقولا أبو مراد

جامعة البلمند

مقدّمة

يأتي ذكر الهيكل في سفر المزامير في مواضع تنمّ عن تنامٍ في النظرة إليه، أو تغيّر تبعًا لتطوّر سياق المزامير العامّ نفسه. وإنّ هذا التغيّر في النظرة إليه إنّما يدلّ على أنّ سفر المزامير يتّبع خطًّا روائيًّا يناسب، كما سنرى لاحقًا في هذه المقالة، الرواية الكتابيّة المقابلة، خصوصًا في أسفار صموئيل والملوك. سنعرض في هذه المقالة لما يرد في هذه الأسفار عن الهيكل، وذلك لنرى كيف يتمّ الكلام عن الهيكل، وبعد ذلك ننتقل إلى كتاب المزامير لندرس تدرّج الكلام فيه عن الهيكل في أجزائه جميعًا.

١. قصّة الهيكل في صموئيل وملوك

١. ١ فكرة داود (٢ صم ٧)

يأتي الكلام الأوّل عن "بيتٍ للربّ"، في سفر صموئيل الثاني، بعد الحديث عن تملّك داود ومبايعة الأسباط إيّاه في حبرون (٢ صم ٥)، وعن الخيمة التي نصبها ليضع فيها تابوت العهد (٢ صم ٦). أمّا السياق الذي يرد فيه فيصوّر داود مستريحًا، ساكنًا في بيته (أي قصره)، بعد أن قدّر له الربّ أن ينتصر على خصومه ويتملّك على كلّ أسباط إسرائيل. ساء داودَ أن يكون الربُّ ساكنًا في "شَقق" خيمة، وهو مستريح في قصرٍ، فرأى أن يبني للربّ مسكنًا. غير أنّ عتاب الربّ الذي يأتيه، على لسان النبيّ ناثان، يفيد، بوضوحٍ، أنّ الربّ ليس

بحاجة إلى "بيتٍ" على طراز ما يخطّط له داود، إذ من يوم إصعاده بيتَ إسرائيل كانت الخيمة مسكنًا له. والربّ هو الذي كان يعتني بشعبه، ولم يكن يومًا يحتاج إلى عنايةٍ. وهذه العناية إنّما كانت مستمرّة واكتملت بـ"أنّ الربّ صنع لك – أي لداود – بيتًا" (٢ صم ٧: ١١). معنى هذا أنّ الربّ الذي أخرج إسرائيل من مصر بآياتٍ وعجائبَ، متغلّبًا على فرعون، وقاد الشعب في البرّيّة، وأحياه بمأكلٍ منه ومشرب، ليس إلهًا ينتظر أن يأويَه مَن يَرعى، إذ هو مقيمٌ المسكنَ للجميع، والكلّ يحيا تحت كنفه.

أمّا هَمُّ داود بأن يكون للربّ بيتٌ فمردّه، على الأرجح، إلى عادة الملكيّة، لا سيّما في حضارات الشرق القديم، أن يكون للإله بيت أو هيكل أو معبد مجاور ومقابل لبيت الملك أو قصره أو بلاطه – وفي العبريّة عبارة واحدة للدلالة على القصر والمعبد، ألا وهي "هِيكَلْ". هذا ما يفسّر أنّ أوّل عمل أراد داود القيام به، بعد أن صار مَلِكًا، هو بناء بيت للربّ، وذلك ربّما لأنّ الملكيّة لم تكن تقوم إلاّ بعلامة الهيكل، مقامِ آلهتها. ولعلّ الربّ الذي كان اعتبر طلبَ الشعبِ مَلِكًا له على غرار بقيّة الشعوب في ١ صم ٨ رفضًا لأن يكون هو الملك، ما أراد أن يبني له داود بيتًا، بالضبط، لكي لا يكون هذا تكريسًا للملكيّة التي طلبها الشعب وأبغضها الربّ، ولم يسمح بها إلاّ تحدّيًا: "فقال الربّ لصموئيل: إسمع لصوت الشعب في كلّ ما يقولون لك، لأنّهم لم يرفضوك أنت، بل إيّاي رفضوا حتّى لا أملك عليهم. حسب كلّ أعمالهم التي عملوا من يوم أصعدتهم من مصر إلى هذا اليوم، وتركوني وعبدوا آلهةً، هكذا هم عاملون بك أيضًا. فالآن اسمع لصوتهم، ولكن أشهدنّ عليهم وأخبرهم بقضاء الملك الذي يملك عليهم" (١ صم ٨: ٧–٩).

بعد رفض الربّ أن يبني له داود بيتًا، نقرأ ما يأتي: "متى كملت أيّامك واضّجعت مع آبائك، أقيم بعدك نسلك الذي يخرج من أحشائك وأثبّت مملكته. هو يبني بيتًا لاسمي، وأنا أثبّت كرسيّ مملكته إلى الأبد. أنا أكون له

أبًا وهو يكون لي ابنًا. إن تعوّج أؤدبّه بقضيب الناس، وبضربات بني آدم، ولكنّ رحمتي لا تنزع منه كما نزعتها من شاول الذي أزلته من أمامك. ويأمن بيتك ومملكتك إلى الأبد أمامك. كرسيّك يكون ثابتًا إلى الأبد" (٢ صم ٧: ١٢–١٦). على قول الربّ هذا يجيب داود بصلاة يعظّم فيها الربَّ وكلامَه الحقَّ سائلاً منه البركة الأبديّة (آ ١٨–٢٩).

السؤال الذي يطرح نفسه بقوّة هنا، كيف يمكن التوفيق بين رفض الربّ أن يبني له داود مسكنًا، لأنّه ليس بحاجة إليه، وإعلانه، مباشرةً بعد ذلك، أنّ نسله سيبني له بيتًا لقاء أن يثبّت هو كرسيّ مملكته إلى الأبد. لِمَ صار بناء بيت الربّ مقبولاً بعد أن جاء رفضه بحجّة قويّة؟

عندي قناعةٌ أنّ الجواب على هذا السؤال يأتي في تتمّة القصّة مع سليمان في ١ مل ٥–٩.

١. ٢ تنفيذ سليمان (١ مل ٥–٩)

مباشرةً بعد تملّكه يشرع سليمان في تنفيذ مشروع بناء الهيكل، معتبرًا كلام الربّ إلى داود، "أنّ ابنك الذي أجعله مكانك على كرسيّك هو يبني البيت لاسمي" (١ مل ٥: ٥ب)، ينطبق عليه ويتحقّق فيه. وبالفعل، يبني سليمان الهيكل مستعينًا بحيرام ملك صور. ويتّخذ بناء سليمان الهيكل مكانة مهمّة في سفر الملوك الأوّل حتى أنّ الكلام عنه يغطّي خمس إصحاحاتٍ، أي ربع السفر تقريبًا. وتتعزّز أهمّيّة بناء الهيكل كما يبيّنها السفر في التدشين الاحتفاليّ الذي يقيمه سليمان عند الانتهاء من البناء في ١ مل ٨. في خطبة التدشين، يعيد سليمان التذكير بكلام الربّ إلى داود، مؤكّدًا أنّ وعد الربّ إنّما تحقّق فيه، ومعترفًا بكلام الربّ الذي سبق وأسمعه داودَ: "هل يسكن الله حقًّا على الأرض؟ هوذا السماوات وسماء السماوات لا تسعك، فكم بالأقلّ هذا البيت الذي بنيت؟" (١ مل ٨: ٢٧). إذا كان الربّ يسكن السماء وما هو بحاجة

إلى بيت على الأرض، وإذا كان سليمان بنى له بيتًا، فذلك ليكون هذا البيت مطرحَ تضرّع لله وصلاة، ومكانًا يطلب فيه المذنب الغفران والبارّ المكافأة: "لتكون عيناك مفتوحتين على هذا البيت ليلاً ونهارًا... واسم تضرّع عبدك وشعبك إسرائيل الذين يصلّون في هذا الموضع، واسمع أنت في موضع سكناك في السماء، وإذا سمعت فاغفر... واقضِ بين عبيدك إذ تحكم على المذنب، فتجعل طريقه على رأسه وتبرّر البارّ إذ تعطيه حسب برّه..." (١ مل ٨: ٢٩–٣٢)؛ ويتابع سليمان الصلاة محدّدًا وظيفة الهيكل بمكان يلجأ إليه الشعب طلبًا لرحمة الله. وكأنّ سليمان، في تحديده وظيفة الهيكل، يجعله علامة على الأرض للناس على أنّ الله سامع من عليائه ومستجيب من مسكنه السماويّ.

يقبل الربّ هذه المساومة: ليس الهيكل مكانًا لسكناه كما أراده داود، فهو ساكنٌ السماوات، إنّما هو تنازل منه لأجل الشعب حتّى يكون لهم مكان يتضرّعون فيه، ويتلون صلواتهم استغفارًا، هذا طبعًا إضافة إلى كونه مكانًا يسمعون فيه فرائضه وأحكامه ليعملوا بها. نرى هنا تحويلاً مهمًّا في وظيفة بيت الإله: عوض أن يكون مجرّد علامة على تعالي الملكيّة، ورديفًا لها إلهيًّا، يصير علامةً على خضوع الشعب مع الملك لله عبيدًا، وعلى وجوب اتّباعهم فرائضَه وأحكامَه. وعليه فإنّ كلام الربّ إلى سليمان جوابًا على صلاته الطويلة يأتي على النحو الآتي: "سمعت صلاتك وتضرّعك الذي تضرّعت به أمامي... وأنت إن سلكت أمامي كما سلك داود أبوك بسلامة قلب واستقامة، وعملت حسب كلّ ما أوصيتك وحفظت فرائضي وأحكامي، فإنّي أقيم كرسيّ ملكك على إسرائيل إلى الأبد... إن كنتم تنقلبون أنتم وأبناؤكم من ورائي ولا تحفظون وصاياي، فرائضي التي جعلتها أمامكم، بل تذهبون وتعبدون آلهةً أخرى وتسجدون لها، فإنّي أقطع إسرائيل عن وجه الأرض التي أعطيتهم إيّاها، والبيت الذي قدّسته لاسمي أنفيه من أمامي، ويكون إسرائيل مثلاً وهزأةً في جميع الشعوب، وهذا البيت يكون عبرةً، كلّ من يمرّ عليه يتعجّب ويصفر، ويقولون: لماذا عمل الربّ هكذا لهذه الأرض ولهذا البيت؟" (١ مل ٩: ٣–٨).

لن يتردّد الله في تسوية هذا البيت بالأرض إذا ما ثبت أنّه بدل أن يكون مكانًا للصلاة، يصير شاهدًا على الخداع، وإذا ما أتى إليه المذنبون مبرّرين أنفسهم وكأنّهم أبرياء، محوّلينه إلى مكان للكذب، يصير فيه الحقّ باطلاً والباطل حقًّا. ولعلّ صدى هذا يتردّد عند إرميا النبيّ الذي يقول، "لا تتّكلوا على كلام الكذب قائلين: هيكل الله: هيكل الله: هيكل الله هو. لأنّكم إن أصلحتم طرقكم...، فإنّي أسكنكم في هذا الموضع... ها إنّكم متّكلون على كلام الكذب الذي لا ينفع. أتسرقون وتقتلون وتزنون وتحلفون كذبًا، وتبخّرون للبعل، وتسيرون وراء آلهة أخرى لم تعرفوها، ثمّ تأتون وتقفون أمامي في هذا البيت الذي دعي باسمي عليه، وتقولون قد أنقذنا... هل صار هذا البيت الذي دعي باسمي عليه مغارة لصوص في أعينكم...؟ أصنع بالبيت الذي دعي باسمي عليه الذي أنتم متّكلون عليه، وبالموضع الذي أعطيتكم وآباءكم إيّاه كما صنعت بشيلو" (إر ٧: ٤-١٤). قال إرميا هذا في الهيكل الذي بناه سليمان آنَ السبي، أي لمّا تحقّق قول الربّ سلبًا. والحقيقة أنّ الأمر لا يطول بسفر الملوك الأوّل حتى يعلن، مباشرةً بعد زيارة ملكة سبأ إلى سليمان إكرامًا له على إنجازه العظيم في بناء البيت (١ مل ١٠)، أنّ سليمان سقط في الخطيئة الأعظم، ألا وهي عبادة الآلهة الغريبة، إذ شاء أن يتبع النساء الغريبات اللواتي تزوّجهنّ (١ مل ١١). وكان حكم الربّ بزوال المملكة، لا في أيّام سليمان، كَرْمَى لداود، بل في أيّام عضو آخر من عائلته الملكيّة. وانسحبت خطيئة سليمان على كلّ مَن خلفه، فكان انقسام المملكة إيذانًا بخرابها، وما تبقّى من سفر الملوك الأوّل والسفر الثاني وصف لما يؤكّد حكم الربّ على رجاسات الملوك، وكان السبي، وكان دمار هيكل سليمان خاتمة القصّة، "وأحرق [نبوزارادان] بيت الربّ وبيت الملك، وكلّ بيوت أورشليم، وكلّ بيوت العظماء أحرقها بالنار" (٢ مل ٢٥: ٩).

وكان دمار هيكل سليمان نهائيًّا، ولم يُبْنَ بعد ذلك. وللذين يعتبرون عزرا ونحميا وصفًا لإعادة بناء الهيكل بعد السبي نقول، إنّ هذين السفرين ينتهيان

بإشارة قويّة إلى أنّ كهنة الهيكل تزوّجوا من نساء غريبات كسليمان، فأهانوا الهيكل بعبادات غريبة (عز ١٠؛ نح ١٣). وقارئ الكتاب يعرف معنى هذا: حُكْم الربّ في الهيكل المعاد بناؤه كحُكْمه في الذي بناه سليمان: يصير عبرة ومسخرة سببها خطيئة إسرائيل. بهذا المعنى لم يُبنَ الهيكل، لأنّه، وإن بُني فهو ساقط، ذلك لأنّ شريعة الربّ وفرائضه غير متّبعة فيه.

٢ – القصّة في كتاب المزامير

يتّفق علماء الكتاب المقدّس على أنّ كتاب المزامير ليس مجرّد مجموعة من الأناشيد مرتّبة على نحو عشوائيّ[١]؛ فاللازمة التي تتكرّر في آخر المزامير ٤١ و٧٢ و٨٩ و١٠٦، تقسم الكتاب إلى خمسة أجزاء. إنّ الأسلوب الليتورجيّ لهذه اللازمة، "مبارك الربّ، إله إسرائيل إلى الأبد والأبد، آمين آمين"، توحي بأنّ التقسيم إلى أجزاء خمسة إنّما هو لغاية الاستعمال في الليتورجيّا والعبادة اليهوديّة. تناسب الأجزاء الخمسة كتب الشريعة الخمسة، وكتب الأنبياء الأوّلين (أي ما يُسمّى الكتب التاريخيّة)، والأسفار النبويّة الأربعة (إشعيا وإرميا وحزقيّال والأنبياء الاثني عشر). ولعلّ المزامير كانت تقرأ، وفق هذا التقسيم، مع الأسفار الأخرى، على فترة محدّدة من الزمن.

وعليه، فإنّ دارسيّ العهد القديم يرون في ترتيب المزامير وتقسيمها إلى خمسة أجزاء خطًّا رابطًا ونموًّا أدبيًّا معيّنًا، يبدأ في المزمور الثالث، باعتبار أنّ

(١) A.A. ANDERSON, *The Book of Psalms,* 2 vols, The New Century Bible Commentary, Grand Rapids: Wm. B. EERDMANS Publishing Company, 1972, Introduction; Franz DELITZSCH, "Psalms", in vol. 5: *Psalms*. Three volumes in one. Translated by Francis Bolton. Commentary on the Old Testament, vol. 1, reprint ed., Grand Rapids; Wm. B. EERDMANS Publishing Co., 1982, introduction. Paul TARAZI, *Introduction to the Old Testament*, vol. 3, *Psalms and Wisdom*, New York: SVS Press, 1996, p. 97-104.

المزمورين ١ و٢ مقدّمة للسفر، وينتهي بالمزمور ١٥٠. في هذا الخصوص يعتبر الأب بولس طرزي[٢]، في مقدّمته إلى سفر المزامير، أنّ الجزءَين الأوّل والثاني (مز ١–٤١ و٤٢–٧٢)، حيث المزامير تنسب بمعظمها إلى داود، يغطّيان حكم داود وما بعده حتّى دمار أورشليم[٣]. ويعكس الجزء الثالث (مز ٧٣–٨٩) خلفيّة السبي، وذلك بالإشارة إليه مرارًا وبغياب داود إلاّ في مز ٨٦. أمّا الجزء الرابع (مز ٩٠–١٠٦) فيعكس نهاية السبي، وهو يبدأ بمزمور ٩٠ المنسوب إلى موسى، قائد الخروج من مصر. ويتحدّث الجزء الخامس (مز ١٠٧–١٥٠) عن الربّ الفادي إلهًا كونيًّا، وعن أورشليم الجديدة والآمال المسيحانيّة المتعلّقة بداود الأخرويّ. يركّز هذا الجزء على الشريعة (مز ١١٩) والأمانة لها.

نرى هنا أنّ كتاب المزامير يسير، حتّى الجزء الرابع منه، بالتوازي مع أسفار الأنبياء الأوّلين، فيبدأ مع داود وقيام المملكة الموحّدة، ويتحدّث عن خطيئة الملك (مز ٥١)، وعن السبيّ[٣]. أمّا في جزئه الخامس فسفر المزامير أقرب إلى الأنبياء، وخصوصًا أشعيا وحزقيّال وبعض الأنبياء الاثني عشر، مثل زكريا وملاخي[٥].

قناعتي أنّ صورة الهيكل في المزامير تتحرّك مع الحركة الروائيّة فيه. وهكذا، ففي الجزءَين الأوّل والثاني يأتي ذكر الهيكل في عدد من المزامير

(٢) Paul TARAZI, *Psalms and Wisdom*, p. 97-104.

(٣) "The Use of Royal Psalms at the 'Seams' of the Hebrew Psalter", *Journal for the Study of the Old Testament* 35 (1986) 85-94.

(٤) John H. WALTON, "The Psalms: A Cantata About the Davidic Covenant", *Journal of the Evangelical Theological Society* 34 (1991) 21-32.

(٥) Cf. Peter C. CRAIGIE, *Psalms 1-50*, Word Biblical Commentary, 19, Waco: Word Books, Publisher, 1983, p. 36-39; Derek KIDNER, *Psalms 1-72: An Introduction and Commentary on Books I and II of the Psalms*, The Tyndale Old Testament Commentaries, Downers Grove: Inter-Varsity Press, 1973, p. 124-129.

(٦) Derek KIDNER, *Psalms 1-72*, p. 128.

سريعًا وعلى نحوٍ غير مباشر، في أحيان كثيرة؛ فالله في الجزء الأوّل "ساكن السماوات" (مز ٢: ٤)، وفي السماء هيكل قدسه (مز ١١: ٤؛ ٣٣: ١٣). في مز ١٨: ٦–٢٣، يدعو داود الله فيستجيب له من هيكله السماويّ، ويخرج بمجد وقوّة عظيمَين ليشتّت الأعداء ويضربهم ويحفظ مسيحه. في مز ٢٤ هيكل الله في الأبديّة يدخله ملكًا للمجد منتصرًا في القتال. لا يقارب هيكل الله هذا إلاّ مَن كان طاهر اليدين ونقيّ القلب، لم يقم بعمل باطل ولم يحلف كذبًا (أنظر أيضًا مز ٢٣: ٦).

لعلّ المزمور الوحيد، في الجزء الأوّل، الذي يشير صراحةً إلى الهيكل، هو مز ٢٧. نقرأ في آ ٤–٦ ما يأتي: "واحِدَةً سألتُ مِنَ الربِّ وإيّاها ألتَمِسُ: أنْ أسكُنَ في بَيتِ الربِّ كُلَّ أيّامِ حَياتي، لكَيْ أنظُرَ إلَى جَمال الربِّ، وأتَفَرَّسَ في هيكلِهِ. لأنَّهُ يُخَبِّئُني في مَظَلَّتِهِ في يومِ الشَّرِّ. يَستُرُني بسِترِ خَيمَتِهِ. علَى صَخرَةٍ يَرفَعُني. والآنَ يَرتَفِعُ رأسي علَى أعدائي حَولي، فأذبَحُ في خَيمَتِهِ ذَبائحَ الهُتافِ. أُغَنِّي وأُرَنِّمُ للربِّ". يعبّر المرنّم في هذه الآيات عن توقه إلى أن يسكن دائمًا في بيت الربّ ليكون له الفرح في تأمّل هيكله والنظر إليه. هل يعكس هذا رغبة داود في بناء مسكن للربّ في ٢ صم ٧؟ ما يدعو إلى الردّ بالإيجابِ هي الموازاةُ التي يقيمها هذا المزمور، عن قصدٍ، بين الهيكل، "هِيكَلْ"، في آ ٤ والخيمة "أُوهِلْ"، في آ ٥. فإذا كان المرنّم، وهو داود هنا، يتوق إلى رؤية الهيكل، فينبغي ألاّ تغيب عن ذهنه أنّ سكنى الربّ الخلاصيّة إنّما هي في الخيمة، وهذا ما يأتي بوضوح في ٢ صم ٧، حيث كلام الله عن نصرته داود وهو في خيمة ومسكن. إحلال الخيمة حيث نتوقّع الهيكل في العادة، يأتي أيضًا في مز ١٥: ١: "يا ربّ، مَن ينزل في خيمتك "أُوهِلِكَ"، مَن يسكن ("يِشْكُنْ") في جبل قدسك"، والمزمور أيضًا لداود. الموازاة هنا بين الخيمة والسكن، ما يعني أنّ الفعل العبريّ "شَكَنْ" يفيد الإقامة في خيمة لا في بيت أو قصر مبنيّ.

يعكس غياب الهيكل المادّيّ في الجزء الأوّل غيابه في إبّان حكم داود، وذلك بحسب تفسير الغياب الذي يأتي في ١ صم ٧، أي أنّ الله ليس بحاجة لبيت وإنّما خيمته هي التي تحفظ الشعب وتحييه في وجودها في وسطه، وهي تعبّر عن حضوره هو في وسط الشعب.

في الجزء الثاني من المزامير (مز ٤٢–٧٢) الذي يطابق، كما أنف القول، نهاية حكم داود، ومملكة يهوذا ما بعده[٦]، يصير الكلام عن الهيكل، ولو جاء مختصرًا أيضًا كما في الجزء الأوّل، كلامًا عن هيكل مادّيّ قائم في مدينة الله، تقام فيه العبادات وتقدّم الذبائح. اللافت أنّ الكلام عن الهيكل على هذا النحو يأتي خاصّة في المزامير المنسوبة إلى بني قورح وآساف. ففي المزمور، يأتي المنشد مع بقيّة الناس إلى الهيكل ليقدّموا حمدًا لله ويرنّموا له: "لأنّي كنت أمرّ مع الجمهور، أتدرّج معهم إلى بيت الله بصوت ترنيم وحمدٍ، جمهورٌ معيّدٌ". واضحٌ هنا أنّ الهيكل يصوَّر كمكان للعبادة يأتي إليه الناس ليرنّموا الربّ ويشكروه. ويأتي الكلام عن الهيكل ومدينة الله بشكل أوضح في مز ٤٨: "عظيمٌ هو الربُّ وحَميدٌ جِدًّا في مدينةِ إلَهِنا، جَبَل قُدسِه. جَميلُ الارتفاعِ، فرَحُ كُلِّ الأرضِ، جَبَلُ صِهيَونَ. فرَحُ أقاصي الشِّمال، مدينةُ المَلكِ العظيم. الله في قُصورِها يُعرَفُ مَلجأً... كما سمِعنا هكذا رأينا في مدينةِ رَبِّ الجُنودِ، في مدينةِ إلَهِنا. اللهُ يُثَبِّتُها إلى الأبدِ. ذَكَرْنا يا اَللهُ رَحمَتك في وسطِ هيكلكَ. نَظيرُ اسمِكَ يا اَللهُ تسبيحُكَ إلى أقاصي الأرضِ. يَمينُكَ ملآنةٌ برًّا. يَفرَحُ جَبَلُ صِهيَونَ، تبتَهِجُ بَناتُ يَهوذا مِنْ أجلِ أحكامِكَ. طوفوا بصِهيونَ، ودوروا حَولها. عُدّوا أبراجَها. ضَعوا قُلوبَكُمْ علَى مَتاريسها. تأمَّلوا قُصورَها لكَيْ تُحَدِّثوا بها جيلاً آخَر. لأنَّ اللّـهَ هذا هو إلهنا إلى الدَّهرِ والأبدِ. هو يَهدينا حتَّى إلَى الموتِ". يسبّح بني قورح هنا مدينة الله لوجود الهيكل فيها، الأمر الذي يوجب أن يُنظر إليها نظرة إجلالٍ. في مز ٥١: ١٨، يطلب داود أن يحسن الربّ إلى أورشليم

.Paul TARAZI, *Psalms and Wisdom*, p. 97-104

ويحصّنها، ويذكر تقدمة الذبائح على مذابحها. مع ذلك لا يغيب عن هذا الجزء من كتاب المزامير الجزء الأوّل نفسه في ما يتعلّق بالهيكل. يبقى ذكر الخيمة ("أُهِلْ")، في المزامير المنسوبة إلى داود خاصّة. نقرأ في مز ٦١: ٤: "لأسكنّن في خيمتك إلى الدهور، أحتمي بستر جناحيك". تعيدنا هذه الآية إلى موضوع الخيمة، وحمايتها داود والشعب، كما وردت في الجزء الأوّل وفي سفر صموئيل الثاني. كذلك يسكن الله السماوات، "أصرخ إلى الله العليّ المحامي عنّي، يرسل من السماء ويخلّصني... إرتفع اللهمّ على السماوات وعلى كلّ الأرض مجدك" (مز ٥٧: ٣، ٥).

يطابق الكلام عن الهيكل في هذا الجزء من سفر المزامير الوظيفة المعطاة له في ١ مل ٩، وهو التضرّع إلى الله وحمده وشكره. ولكن، كما في ١ مل، يأتي بقاء الهيكل مشروطًا بالأمانة لوصايا الله وأحكامه، خصوصًا للملك. غير أنّ هذا الجزء الذي تبدأ فيه المزامير المنسوبة إلى داود بالمزمور ٥١ الذي يصوّر خطيئة داود "بعدما دخل إلى بتشبع"، وينتهي بمزمور لسليمان (مز ٧٢) يصف الواجبات الملكيّة التي لم يلتزم بها سليمان. في ١ مل١١ وما يليه، يقدّم للسبي، وهو عقاب الله على عدم الالتزام بأوامره. ليس من قبيل الصدفة أن يكون أوّل مزمور لداود في هذا الجزء، وأوّل مزمور لسليمان في السفر ككلّ، يذكّران بخطيئة الملك. ولئن كان الله في ١ مل ١١ أجّل العقاب إلى ما بعد حكم سليمان، إلاّ أنّ سفر المزامير يبدأ، في جزئه الثالث، بعد مز ٧٣ الذي يبدأ بالكلام على خطيئة المرنّم وبلائه لبعده عن الله، بالمزمور ٧٤ الذي يتحدّث عن السبيّ: "لماذا رفضتنا يا ألله إلى الأبد؟ لماذا يدخّن غضبك على غنم مرعاك؟" (٧٤: ١). ثمّ ينتقل هذا المزمور مباشرة إلى خراب الهيكل، وهذا ما لا عجب فيه إذا ما أخذنا في الاعتبار مشروطيّة بناء الهيكل في ١ مل ٥–٩ بأمانة الملك والشعب، وإلاّ تحوّل بيت الله إلى عبرة ومسخرة. نقرأ في هذا المزمور في آ ٣–١١، "إرفع خَطَواتِكَ إلَى الخِرَبِ الأبديَّةِ. الكُلَّ قد حَطَّمَ

العَدوُّ في المَقدِسِ. قد زَمجَرَ مُقاوِموك في وسطِ مَعهَدِكَ، جَعَلوا آياتِهِمْ آياتٍ. يَبانُ كأنَّهُ رافِعُ فُؤوسٍ علَى الأشجارِ المُشتَبِكَةِ. والآنَ مَنقوشاتِهِ مَعًا بالفؤوسِ والمَعاوِل يَكسِرونَ. أطلَقوا النّارَ في مَقدِسِكَ. دنَّسوا للأرضِ مَسكَنَ اسمِكَ. قالوا في قُلوبِهِمْ: لنُفنيَنَّهُمْ مَعًا! أحرَقوا كُلَّ مَعاهِدِ اللهِ في الأرضِ. آياتِنا لا نَرَى. لا نَبيَّ بَعدُ، ولا بَينَنا مَنْ يَعرِفُ حتَّى مَتَى. حتَّى مَتَى، يا أللهُ، يُعَيِّرُ المُقاوِمُ؟ ويُهينُ العَدوُّ اسمَكَ إلى الغايَةِ؟ لماذا ترُدُّ يَدَكَ ويَمينَكَ؟ أخرِجها مِنْ وسطِ حِضنِكَ. أفنِ". سقط بيت الله ودمّر. صار عبرة للشعب وموضع سخرية منه. خطايا الملوك وعصيان الشعب وبلادته جرّا هذا عليه. مع هذا لم يسقط الله؛ بقي إلهًا على كلّ الأرض مقتدرًا (مز ٧٤: ١٣–٢٣). يتضرّع إليه المرنّم أن يقيم دعواه على المخرّبين والمضطَّهِدين. وتتابع في هذا الجزء من المزامير هذه الصور. نقرأ في مز ٧٩: ١–٧: "أللّهُمَّ، إنَّ الأُمَمَ قد دَخَلوا ميراثَكَ. نَجَّسوا هيكلَ قُدسِكَ. جَعَلوا أورُشَليمَ أكوامًا. دَفَعوا جُثَثَ عَبيدِكَ طَعامًا لطُيورِ السماءِ، لَحْمَ أتقيائكَ لوُحوشِ الأرضِ. سفَكوا دَمَهُمْ كالماءِ حَولَ أورُشَليمَ، وليس مَنْ يَدفِنُ. صِرنا عارًا عِندَ جيرانِنا، هُزءًا وسُخرَةً للذينَ حَولَنا. إلى مَتَى يا رَبُّ تغضَبُ كُلَّ الغَضَبِ، وتتَّقِدُ كالنّارِ غَيرَتُكَ؟ أفِضْ رِجزَكَ علَى الأُمَمِ الذينَ لا يَعرِفونَكَ، وعلَى المَمالِكِ التي لم تدعُ باسمِكَ، لأنَّهُمْ قد أكلوا يعقوبَ وأخرَبوا مَسكَنَهُ". وفي المزامير الأخرى في هذا الجزء، يطلب المرنّم من الله الغفران، ويسأله أن يعود ليتعهّد كرمته، فقد فنيت، ويرأف بها.

بعد تصوير السبي وخراب الهيكل ومدينته، علامته الأعظم، يُستهَلّ الجزء الرابع من سفر المزامير بمزمور ٩٠، المنسوب إلى موسى، رجل الخروج، وما هذه النسبة من قبيل الصدفة، إذ يصوّر العودة من السبي كخروج إسرائيل من مصر بقيادة موسى، خلاصًا يتمّه الله عظيمًا. يعود هذا الجزء ليوكّد على مرجعيّة الله، بعد فشل خبرة الملكيّة في داود وسليمان ومَن يمثّلان، ويعود إليه الكلام على عظمة الله وخلاصه وكونه عونًا وحمايةً للشعب. هذا لا يحتاج

إلى بيت كالذي بناه سليمان خرب، فهو العليّ الساكن السماوات، القديم الأيّام الممجدّ، الذي بينه وبين الإنسان الفاني ما بين السماوات والأرض: "يا ربّ ملجأً كنت لنا في دور فدور. من قبل أن تولد الجبال أو أبدأتَ الأرض والمسكونة، منذ الأزل إلى الأبد أنت الله" (مز ٩٠: ١–٢). هذا الإله هو مسكن الناس وحافظ خيمتهم، وحمايتهم: "الساكن في ستر العليّ، في ظلّ القدير يبيت، أقول للربّ ملجإي وحصني إلهي فأتّكل عليه... لأنّك قلت أنت يا ربّ ملجإي، جعلت العليّ مسكنك. لا يلاقيك شرٌّ، وضربة لا تدنو من خيمتك" (مز ٩١: ١–٢، ٩–١٠). يتملّك الله، يعود إلى حكم شعبه والمسكونة بكاملها، يغيب الملك، وقصره وهيكل الله الذي بناه، ليعود إلى السماء عرشِه، ويقضي للمسكونة أجمع (مز ٩٧ و٩٨ و٩٩). البيت بيته، هو يقيمه، والتوق إنّما هو إلى أن يكون الناس في ديار الربّ مسبّحين إيّاه وحده، فهو رحيم ورؤوف: "إهتِفي للربِّ يا كُلَّ الأرضِ. أُعبُدوا الربَّ بفَرَحٍ. أُدخُلوا إلَى حَضرَتِهِ بترَنُّم. إعلَموا أنَّ الربَّ هو اللهُ. هو صَنَعَنا، ولهُ نَحنُ شَعبُهُ وغَنَمُ مَرعاهُ. أُدخُلوا أبوابَهُ بحَمدٍ، ديارَهُ بالتَّسبيحِ. إحمَدوهُ، بارِكوا اسمَهُ. لأنَّ الربَّ صالحٌ، إلَى الأبدِ رَحمَتُهُ، وإلى دَورٍ فدَورٍ أمانَتُهُ" (مز ١٠٠). وبعد مز ١٠٤ يعيد الربّ إلى سمائه، ينتهي الجزء الرابع بمزمور "هَلِّلْ"، هو مز ١٠٦، الذي يذكر خطايا إسرائيل منذ البدء، ويطلب من الله أن يغفر إثمه ويعيده من السبي.

يبدأ الجزء الخامس بالمزامير ١٠٨–١١٠ المنسوبة إلى داود، وهي تضعنا في أجواء إشعيا الثاني والثالث والرجاء المسيانيّ وتحقّق هذا الرجاء. في أورشليم الجديدة، وبقيادة داود الأخرويّ ترنمّ مزامير "هَلِّلْ" ١١١ إلى ١١٨. أورشليم هذه كأورشليم حزقيّال، اسمها "الربّ هناك"، لأنّها تحت كنف الربّ الجالس في السماوات دومًا. تعبّر هذه المزامير بوضوح عن أنّ الله في السماء، والسماوات له. وسكن السماوات: "هَلِّلويا. سبِّحوا يا عَبيدَ الربِّ. سبِّحوا اسمَ الربِّ. ليَكُنِ اسمُ الربِّ مُبارَكًا مِنَ الآنَ وإلَى الأبدِ. مِنْ مَشرِقِ الشمسِ إلَى

مَغرِبِها اسمُ الربِّ مُسَبَّحٌ. الربُّ عالٍ فوقَ كُلِّ الأُمَم. فوقَ السماواتِ مَجدُهُ. مَنْ مِثلُ الربِّ إلَهِنا السّاكِنِ في الأعالي؟ النّاظِرِ الأَسافِلَ في السماواتِ وفي الأرضِ، المُقيمِ المَسكينَ مِنَ التُّرابِ، الرّافِعِ البائسَ مِنَ المَزبَلَةِ لِيُجلسَهُ مع أشرافٍ، مع أشرافِ شَعبِهِ. المُسكِنِ العاقِرَ في بَيتٍ، أُمَّ أولادٍ فرحانَةً. هَلِّلويا" (مز ١١٣). ومع أنّه إله متعالٍ، إلاّ أنّه ناصر الفقير والمسكين ومخلّص البائس، ملك عادل، ليس مثله بين الملوك. وإذا شاء الله أن يخلّص الشعب فهذا بسبب التزامه بشريعته التي يكرّس له مزمور طويل جدًّا هو مز ١١٩، الذي ينتهي بالإشارة إلى حضرة الله، "لتدخل طلبتي إلى حضرتك" (مز ١١٩: ١٧٠). يتحقّق حضور الله وسط شعبه إذا ما التزم هذا بشريعته. دليل على صحّة هذه الفكرة أنّ مز ١١٩ تليه مباشرة مزامير تتحدّث عن بيت الله (مز ١٢١، ١٢٢، ١٢٣): "فرِحتُ بالقائلينَ لي: إلى بَيتِ الربِّ نَذهَبُ. تَقِفُ أرجُلُنا في أبوابِكِ يا أورُشَليمُ. أورُشَليمُ المَبنيَّةُ كمدينةٍ مُتَّصِلَةٍ كُلِّها، حَيثُ صَعِدَتِ الأسباطُ، أسباطُ الربِّ، شَهادَةً لإسرائيلَ، ليَحمَدوا اسمَ الربِّ. لأنَّهُ هناكَ استَوَتِ الكَراسيُّ للقَضاءِ، كراسيُّ بَيتِ داوُدَ. إسألوا سلامَةَ أورُشَليمَ: ليَستَرِحْ مُحِبّوكِ. ليَكُنْ سلامٌ في أبراجِكِ، راحَةٌ في قُصورِكِ. مِنْ أجل إخوَتي وأصحابي لأقولَنَّ:سلامٌ بكِ. مِنْ أجل بَيتِ الربِّ إلَهِنا ألتَمِسُ لكِ خَيرًا" (مز ١٢٢). هذه هي مدينة "الربّ هناك"، كما جاء الكلام عنها في حزقيّال، أورشليم التي هي صنع يدي الله، لا صنع بشر، والبيت الذي قال فيه حزقيّال: "فجاءَ مَجدُ الربِّ إلَى البَيتِ مِنْ طريقِ البابِ المُتَّجِهِ نَحوَ الشَّرقِ. فحَمَلَني روحٌ وأتَى بي إلى الدّارِ الدّاخِليَّةِ، وإذا بمَجدِ الربِّ قد مَلأ البَيتَ، وسَمِعتُهُ يُكَلِّمُني مِنَ البَيتِ، وكانَ رَجُلٌ واقِفًا عِندي. وقالَ لي: يا ابنَ آدَمَ، هذا مَكانُ كُرسِيِّي ومَكانُ باطِنِ قَدَمَيَّ حَيثُ أسكُنُ في وسطِ بَني إسرائيلَ إلى الأبدِ، ولا يُنَجِّسُ بَعدُ بَيتُ إسرائيلَ اسمي القُدّوس، لا هُم ولا مُلوكُهُمْ، لا بزِناهُمْ ولا بجُثَثِ مُلوكِهِمْ في مُرتَفَعاتِهِمْ. بجَعلِهِمْ عَتَبَتَهُمْ لدى عَتَبَتي، وقَوائمَهُمْ لَدَى قَوائمي، وبَيني وبَينَهُمْ حائطٌ، فنَجَّسوا اسمي القُدّوس برَجاساتِهِمِ التي فعَلوها، فأفنَيتُهُمْ بغَضَبي. فليُبعِدوا عَنِّي

الآنَ زِناهُمْ وجُثَثَ مُلوكِهِمْ، فأسكُنَ في وسطِهِمْ إلَى الأبدِ. وأنتَ يا ابنَ آدَمَ، فأخبِرْ بَيتَ إسرائيلَ عن البَيتِ ليَخزَوا مِنْ آثامِهِمْ، وليَقيسوا الرَّسمَ؛ فإنْ خَزوا مِنْ كُلِّ ما فعَلوهُ، فعَرِّفهُمْ صورَةَ البَيتِ ورَسمَهُ ومَخارِجَهُ ومَداخِلهُ وكُلَّ أشكالِهِ وكُلَّ فرائضِهِ وكُلَّ أشكالِهِ وكُلَّ شَرائعِهِ، واكتُبْ ذلكَ قُدّامَ أعيُنِهِمْ ليَحفَظوا كُلَّ رُسومِهِ وكُلَّ فرائضِهِ ويَعمَلوا بها. هذِهِ سُنَّةُ البَيتِ: علَى رأسِ الجَبَلِ كُلُّ تُخمِهِ حَوالَيهِ قُدسُ أقداسٍ. هذِهِ هي سُنَّةُ البَيتِ" (حز ٤٣: ٤–١٢).

مزامير المصاعد (مز ١٢٠–١٣٤) تعلي المسبّحين إليها وترفع المتضرّعين إلى سكنى الله المصنوع من الله، القائم في وسط الشعب. وأوسط مزامير المصاعد، مز ١٢٧، وهو منسوب إلى سليمان لا بالصدفة، ينتقد سليمان وما تجرّأ عليه وقبله الله مساومةً: "إن لم يبنِ الربّ البيت فباطلاً يتعب البنّاؤون؛ إن لم يحفظ الربّ المدينة، فباطلاً يسهر الحرس" (مز ١٢٧: ١). ندرك الآن أنّ سليمان أخطأ التقدير حين اعتبر نفسه ابن الملك الذي سيبني لله بيتًا. ابن الله هذا، مسيحه، داوده الجديد، يرأس مدينة الله في مز ١٣٨–١٤٥. بقيادة هذا الرئيس (أنظر حز ٤٥)، تسبّح الجماعة الجديدة الله إلى الأبد في مز ١٤٥–١٥٠، وتنضمّ إليها الخليقة أجمع[٧].

هذا الرئيس هو باني البيت وحارسه إذ كان أمينًا لله حتّى النهاية؛ هذا هو نسل داود الذي قال الله إنّه سيبني له بيتًا. هذا الذي لمّا قال: "أُنقضوا هذا الهيكل وأنا أبنيه في ثلاثة أيّام"، إنّما قال هذا عن جسده، بيتنا وخيمتنا ومسكننا.

(٧) Paul TARAZI, *Psalms and Wisdom*, p. 97-104.

مراجع

ALLEN Leslie, *Psalms 101-150*, Word Bible Commentary, 21, Waco: Word Books, 1983.

ANDERSON A.A., *The Book of Psalms*, 2 vols., The New Century Bible Commentary, Grand Rapids: Wm. B. Eerdmans Publishing Company, 1972.

CRAIGIE Peter C., *Psalms 1-50*, Word Biblical Commentary, 19, Waco: Word Books, Publisher, 1983.

DELITZSCH Franz, "Psalms", in vol. 5: *Psalms*. Three volumes in one, Translated by Francis Bolton, Commentary on the Old Testament, 10 vols., N.p., reprint ed., Grand Rapids, Wm. B. Eerdmans Publishing Co., 1982.

GERALD Wilson, *The Editing of the Hebrew Psalter*, Chico: Scholars Press, 1985.

_____, "Evidence of Editorial Divisions in the Hebrew Psalter", *Vetus Testamentum* 34 (1984) 337-352.

_____, "The Use of Royal Psalms at the 'Seams' of the Hebrew Psalter", *Journal for the Study of the Old Testament* 35 (1986) 85-94.

GUNKEL Hermann, *The Psalms: A Form-Critical Introduction*, Translated by Thomas M. Horner, Philadelphia: Fortress Press, 1967.

KIDNER Derek, *Psalms 1-72: An Introduction and Commentary on Books I and II of the Psalms*, The Tyndale Old Testament Commentaries, Downers Grove: Inter-Varsity Press, 1973.

_____, *Psalms 73-150: A Commentary on Books III-V of the Psalms*, The Tyndale Old Testament Commentaries, Downers Grove: Inter-Varsity Press, 1975.

LONGMAN Tremper, III. *How to Read the Psalms*, Downers Grove, Ill: InterVarsity, Press, 1988.

TARAZI Paul, *Introduction to the Old Testament*, vol. 3, *Psalms and Wisdom*, New York: SVS Press, 1996.

TATE Marvin E., *Psalms 51-100*, Word Biblical Commentary, 20, Dallas: Word Books, Publishers, 1990.

WIERSBE Warren W., *Meet Yourself in the Psalms*, Wheaton, Ill: SP Publications, Victor Books, 1983.

WALTON John H. "The Psalms: A Cantata about the Davidic Covenant", *Journal of the Evangelical Theological Society* 34 (1991) 21-32.